

على حمله ، دعاه إلى الجلوس

— إننى تعب مكدود ، لم تكتحل
عيناي بالنوم منذ أسبوع . هناك شيء
فى يدي اليمنى لست أدري أهو بثرة
أم خراج . كان الألم خفيفاً بادى الأمر ،
أما الآن فهو ألم شديد فى التهابه ، مستمر
فى عذابه ، ينمو ويقسو يوماً عن يوم
حتى لقد بلغ غايته . لم أعد أطيقه . لذا

جئتكم أضرع إليكم أن تستأصل مكان الألم فقد
يقودنى إلى الجنون لو تقضت ساعة أخرى
وحاول الدكتور أن يسرى عن المريض بقوله
إنه قد يستطيع إزالة الألم بالملاج والأدهنة دون
اللجوء إلى استعمال البضع ؛ بيد أن الرجل قال صائحاً :
— لا ... لا يا سيدى الطبيب ، إن الأدهنة
لا تستطيع شفاى . يجب استعمال البضع ، لقد
جئتكم لاستئصال ذلك الجزء الذى يسبب لى كل
هذا الألم الكبير

فطلب إليه الطبيب أن يكشف عن موضع الألم .
فضغط المريض بأسنانه متوجهاً من شدة الألم ، وبكل
حذر وعناية راح يحمر يده من الأربطة التى حولها
— أتوسل إليك يا سيدى الطبيب أن تصارحنى
بحقيقة ما قد ترى . إن حالتى ولا ريب غريبة ،
ولكن أرجو ألا تهتم لذلك كثيراً

فأخذ الدكتور (ك) يسرى عن الرجل الغريب
خوفه واضطرابه ، ولم يكن الطبيب ليكثرث لانفعال
مريضه وهو الذى خبر مثل هاته الحالات كثيراً ،
بيد أنه ذهل ذهولاً كبيراً حينما تحررت اليد من
أربطتها . لم يكن فيها شيء غريب . لم يكن بها جرح

من روائع الأدب المجرى

حزمة الرسائل

للطبيب المجرى بوراس مولاى
بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد

اضطر الدكتور ... — من أشهر جراحى
يست — فى ساعة مبكرة من ذات صباح أن
يستقبل زائراً عجولاً . إذ قال الرجل للممرض وهو
يتململ فى غرفة الانتظار إن فى التأخير عليه خطراً
أى خطر ، وأنه يجب أن يقابل الطبيب توجاً
فارتدى الطبيب فى عجلة ثوباً منزلياً ، ثم أذن
للمريض أن يدخل عليه . ألقى (ك) نفسه فى حضرة
رجل غريب ، يبدو من مظهره الأنيق أنه ينتمى
إلى الطبقة الراقية ، وتتجلى فى وجهه الشاحب علام
آلام جسمانية عنيفة ، وكان يحمل ذراعه اليمنى فى
رباط معلق بمنقه ، ومضت تنفلت من فم زفرات
حرار بالرغم من احتباله على ضبط نفسه وكبت
انفعاله . وسأل فى صوت ضعيف واهن :

— الدكتور ... ؟

— إنه اسمى يا سيدى

— لم أتشرف بعد بمعرفتكم إذ أقيم بالريف ،
ولكنى سمعت بك ، ولست أزعم أنى سعيد بمقد
أواصر المعرفة بينى وبينك ، فزيارتى لك الآن غير
لائقة ...

ولما رأى الطبيب أن ساق المريض لا تقويان

فنظر الطبيب إلى وجه الزائر . لقد بدأ يمتدح
أن بالرجل خبالاً

— لك أن تقيم هنا إن شئت ، وستبرأ بعد
أيام قلائل

— لا أستطيع البقاء ... لا تحسب أنني مجنون

ثم إنك لن تشفيني بتلك الوسيلة ، إن الدائرة التي
رسمت بقلمى هي موضع الألم المبرح ، وقد جثت
لنقطعها ليس غير

— مستحيل

— وله ؟

— لأن يدك لا تحمل مرضاً ، لا أرى في

الموضع الذي أبنت أكثر مما أرى في يدي أنا

— أراك تحسب أنني رجل مخبول ، أو أنني
جثت أسخر منك

ثم أخرج من مفكرته ورقة من فئة الألف
فلورين وضماها على المكتب واستطرد يقول :

— والآن يا سيدي ، أحسبك لا تظن أنني

أمزح . إن ما أطلب إليك القيام به ضروري لازم
ابتغاء شفاى . أرجوك أن تستأصل ذلك الجزء
من يدي

— أكرر لك القول يا سيدي أنك لا تستطيع

— وإن عرضت على كل كنوز الأرض — أن

تحملنى على تشويه عضو من الجسم سليم ، أو على
الأقل تحملنى على قطعه بمبضى

— ولم لا ؟

— لأن مثل ذلك العمل يجلب الشك في مقدرتي

كطبيب ويحط من سمعتي . سيقول كل امرئ إنك

كنت رجلاً مضطرب العقل ، وإني لم أكن أميناً

باستغلال حالتك ؛ أو شق على — لجهلى —

تشخيص الداء ووصف الدواء

ولا كدم ، كانت يداً كسائر الأيدي . فتركها

الطبيب — لفراط ذهوله — تسقط من يده دون عمد

منه ، فانقلقت من الغريب صرخة ألم شديدة ، ثم

رفع الطرف المصاب بيده اليسرى مبيناً للطبيب

أنه ما أتى بقصد المزاح وأنه حقا يعاني ألماً شديداً

— أين الجزء الموضع ؟

— هنا يا سيدي

قال الغريب ذلك مشيراً إلى نقطة في ظهر يده

حيث يتقاطع عرقان كبيران ، وارتعد جميع بدنه

حينما لمسها الطبيب بطرف أصبعه لمسة خفيفة

— آتخس هنا الألم اللاهب ؟

— نعم في قسوة وعنف

— أنشعر بألم حين أمسه بأصبعي ؟

لم يجب الرجل ، وإنما امتلأت عيناه بالدمع . إلى

هذا الحد كان يتألم

— عجباً ! لا أستطيع أن أرى في ذلك الموضع

شيئاً غريباً

— وأنا أيضاً . بيد أن ما أحسه من الألم جد

فظيع ، حتى أنه يكاد يسوقني أحياناً إلى ضرب

رأسي في الجدران والحوائط

ففحص الطبيب مكان الداء بالمجهر ثم هز رأسه :

— إن الجلد المليء بالحياة ، وإن الدم ليجرى من

تحتة في دورة منتظمة ، وليس ثمة التهاب ولا خراج .

إن هذا الجزء سليم كأي جزء آخر

— ولكنني أظن أنه أشد حمرة

— أين ؟

فأخذ الرجل الغريب من جيبه مفكرة أخرج

منها قلماً من الرصاص ورسم فوق يده دائرة في اتساع

قطعة من فئة الستة بنسات وقال :

— هنا

ينصب من الجرح انصباباً . فاضطر الطبيب أن يلج عليه في ربط الجرح إلحاحاً قاسياً

وفي أثناء ربط الجرح تغيرت ملامح وجهه . لم تعد تحمل علامة الحزن والألم . بل ارتسمت عليه علامة الراحة والاطمئنان . واختفت أمارات اليأس والاضطراب . ونمت أساريره عن الحياة ، وعاد إلى خديه لونهما ، وتحول الرجل السليم تحولاً كبيراً . وعند ما علق يده بعنقه أمسك بيده الأخرى يد الدكتور وهزها في حرارة وقال :

— آه ! شكراً يا سيدي الطبيب شكراً ! حقاً لقد شفيتني من داء عضال ، وإن الهدية الزهيدة التي أقدم لك لن تتناسب بحال مع ما قمت لي من صنيع جليل . سأظل طوال حياتي أبحث عن طريق أستطيع معها أن أفي الدين الذي حملتني

ولم يكن الطبيب ليصني إلى قوله ؛ وأبى أن يستحل ألف الفلورين المستقرة فوق المكتب ، كذلك رفض الرجل الغريب أن يستعديها ، فرجاه (عند ما لاحظ أنه مس كبرياء الطبيب) أن يكتب بها لأحدى المصححات . ثم غادره ومضى

وبقي الرجل عدة أيام آخر في منزله بالمدينة حتى ياتهم الجرح الذي في يده . وفي تلك الأثناء استطاع الطبيب أن ياتمس لنفسه المعاذير لتصرفه إزاء رجل مثل مريضه واسع الاطلاع خيالي النزعة ، له في سائر أسباب الحياة رأى صائب ... إزاء رجل كان إلى جانب ثرائه يشغل منصباً حكومياً كبيراً . وما بدا على الرجل أي داء آخر منذ أن بارحه داؤه الحق . وعند ما اكتمل العلاج ، عاد الرجل من حيث أتى ، إلى مشواه بالريف

وفي ذات صباح بعد ثلاثة أسابيع ، وفي ساعة غير لائقة كالمرّة الأولى ، أعلن الخادم ثانية قدوم المريض الغريب

— حسن جداً . إذن سأطلب إليك صنيماً ضئيلاً في وصى أن أجرى العملية لنفسى ، سأجرىها بيدي اليسرى ، ولكن ذلك لا يهم ، فقط أرجو أن تتفضل وتعنى بالجرح عقب العملية

ذهل الطبيب حين رأى عزم الرجل من إصراره وحين ألقاه بنزع عنه معطفه ويحسر كفى قيصه ، ويستل بيسراه مبضعاً

وبعد ثانية واحدة كان السلاح قد أحدث في الجلد ثغرة . فصرخ الطبيب :

— قف !

خشى أن يقطع المريض — أثناء ارتباطه — عرفاً هاماً

— ما دمت مُصرّاً على إجراء العملية ، فدعنى أقم بها . وأخذ الموضع وأمسك اليد المريضة بيسراه ورجا الرجل أن يدير عن المشهد رأسه خشية أن يؤثر فيه منظر الدم وهو ينهمل

— لا ضرورة ألبتة لذلك . على العكس . علىّ أنا أن أرشدك إلى حيث تقطع . ظل الرجل يرقب العملية في برود شديد وجود ، مشيراً إلى حدود الموضع ، حتى أن اليد المفتوحة لم ترتجف وهي مستقرة في يد الطبيب يعمل فيها الموضع في سرعة عنيفة . ولما أن أزيل الجزء الدائري ، تنهد الرجل في عمق كأنما أحس راحة عظيمة

— أما من شئ ، بؤلك الآن ؟ فقال الغريب مبتسماً :

— لقد انتهى كله . زال الألم تماماً كما لو كان فارقني مع الجزء المقطوع ، وإذا قورن التعب الذي أحسه الآن من نزيف الدم بالألم الأول لكان كالنسيم الرطيب عقب لفحة من ريح جهنم . دعه ينزف ، إن نزيفه يجملني سعيداً جداً سعيد

وجعل الرجل الغريب يرقب الدم في لذة وهو

رؤيته الدم ينزف من الجرح . ولما أن التفت اليد في الأربطة زابت صفرة اللون وجه وعاد اللون إلى الخدين . ولكن المريض لم ينتسم . في هذه المرة شكر الطبيب في حزن وصرارة

— أشكرك يا دكتور . لقد فارقتي الألم مرة أخرى ، وفي بضعة أيام سيندمل الجرح ومع ذلك فلا تدهش إذا عدت إليك قبل شهر واحد

— أوه يا سيدى المحترم ! انزع من نفسك هذا الوم

ووصف الطبيب هذه الحال الغريبة إلى كثير من زملائه . قضى كل يدلى فيها رأى دون أن يهتدى إلى تعليل صائب لطبيعة المرض وتداوت غاية الشهر . فتقرب ك . . في قلق عودة هذه الشخصية الواهمة ولكن الشهر تقضى ولم يأت الرجل

وتصرمت بضعة أسابيع آخر ، وفي النهاية تسلم الطبيب كتاباً من عليه ، وكانت الكتابة دقيقة مضطربة ، وعند ما نظر إلى التوقيع في ذيل الخطاب أدرك أن المريض هو الذى حرره بيده وتلك محتويات الكتاب :

— سيدى الطبيب . إننى لأستطيع أن أدعك وعلم الطب في مهاوى الشك نحو المرض الغريب الذى سيقودني وشيكاً إلى القبر

وسأكشف لك هنا عن مصدر هذا الداء المخيف . لقد عاودنى للمرة الثالثة في الأسبوع الفائت بيد أنى لن أصارعه أبداً بعد ذلك ، وإنى الآن أكتب إليك بمونة « حراقة » وضعتها على مكان الألم من يدي ، وفي أثناء التهاب الحراقة لا أحس الألم الآخر . إنها تسبب ألماً طفيفاً إذا قورن بالمرض اللاهب المستمر

كنت ما أزال رجلاً سعيداً منذ ستة شهور

دخل الرجل على الدكتور بذراعه معلقة بمنقه فكاد الطبيب ألا يعرفه لسا أغم وجهه من نوازع الألم المبرح الشديد . ولم ينتظر دعوته إلى الجلوس بل رأى على أحد المقاعد غير قادر على ربط جأشه وضبط نفسه ، وطفق يئن ويتأوه وهو يمد ذراعه الموجهة إلى الطبيب . فسأله ك . . . في ذهول :

— ماذا جرى ؟

فأجاب في صوت خافت بنبرات حزينة :

— لم نقطع إلى العمق الكافى . إنه يؤلى أشد من ذى قبل . أكاد أتمزق من هول الألم ، إن ذراعى متصلة من شدته . ولم أريد أن أزعجك مرة أخرى فتحملت الألم في صبر آملاً أن يصمد الألم الخفى ويبدأ ويبدأ إلى رأسى أو يهبط شيئاً فشيئاً إلى قلبى فيضع بذلك حداً لحياتى النعسة البائسة . بيد أن أملى قد خاب . لم يبرح الألم مكانه ولكن بوقع هائل مخيف . انظر إلى وجهى ثم مقدار ما أعانى من وطأته حقاً كانت بشرة الرجل في لون الشمع والعرق البارد ينضح جبينه . فخل الطبيب رباط اليد . كان مكان العملية حسن الالتئام . وقد تبدى جلد جديد ولم يكن يرى فيها شئ غريب وكان نبض المريض سريعاً دون ارتفاع في درجة الحرارة ، وكل جزء في بدنه يرتجف ارتجافاً . قال الطبيب في دهشة :

— يا للعجب ! لم أرى في حياتى مثل هذه الحالة ! — إنه فظيع . . . فظيع جداً يا دكتور . لا تحاول أن تجد لهذه الحال تعليلاً . إنما نجنى من هذا الألم المر الشديد . خذ سلاحك واقطع إلى مدى أعمق وأوسع . هذا فقط ما ينقذنى

واضطر الطبيب إزاء توسلات مريضه أن يجرى العملية من جديد ، فراح يقطع في اللحم بمبضمه إلى مدى أعمق من ذى قبل . وللمرة الثانية رأى على ملامح مريضه علامات الراحة المجيبة لدى

وكان لزوجي مكتب حرصت على أن تلتقى درجه
بعناية تامة ، ولقد لاحظت ذلك كثيراً . لم تنس
المفتاح مرة ، ولم تترك الدرج مفتوحاً مرة
وسنح في ذهني خاطر "مقبض" ، أنشب مخالب
الشك في صدري ، وبعت الاضطراب والجنون
في نفسي . ماذا تخفي ثمة ؟ لقد انقلبت وبى جنة
وخيل . لم أعدائق بطهارة وجهها ولا بصفاء نظراتها .
لم أعد أومن بمواطنها الجياشة ولا بقبلاها الحارة
الثائرة . ماذا لو كان كل هذا رياء في رياء ؟

وفي ذات صباح أقبلت الكونتيس تدعو زوجي
لقضاء شطر من اليوم في بيتها . تمنعت وترددت
ولكنني أفلحت بعد إلحاح في حملها على قضاء اليوم
معهما . وكان يفصل البيتين بضعة مراحل . وقد
وعدت أن ألحق بها بعد ساعات قليلة

وما أن ابتعدت العربة قليلاً حتى جمعت كل
مفاتيح البيت وشرعت أجرها على القفل وأفلحت
بأحدها في فتح الدرج . أحسست كن يرتكب
جريمته الأولى . كنت كالسارق في محاولتي الكشف
عن أسرار زوجي ، وارتعدت يداي وأنا أجنب
الدرج إلى في عناية وحرص . وقلبت محتوياته
شيئاً فشيئاً حتى لا يتم تغيير نظامها عن عبث يد
غريبة . وانقبض صدري وأحسست كأن كابوساً
يجثم على أنفاسي فيخنقني خنقاً . وفجأة عثرت يدي
بمحزمة من رسائل كانت كأنها سيال من الكهرباء
سرى من رأسي إلى قلبي فاشتد وجيبه وترادفت
خفقاته . أوه ! كانت نوعاً من الرسائل يعرفها المرء
بنظرة ... رسائل غرام . وكانت المحزمة يضمها
شريط من الحرير الأحمر بجانبين فضيين

وعندما لست الشريط كرت على ذهني الخواطر:
أهل هذا معقول ؟ أيليق هذا برجل شريف

أعيش بدخلي عيشة رخية ناعمة ، على صلة حسنة
بكل إنسان ، أمتع نفسي بكل أسباب الحياة كما
يفعل كل رجل في الخامسة والثلاثين من عمره ،
وقد تزوجت - عن حب كبير - منذ سنة بسيدة
صغيرة جميلة ، ذات عقل ناضج ، وقلب طيب إلى
أقصى حدود الطيبة ، وقد كانت تعمل كوصيفة خاصة
للكونتيس التي تقيم بجوارى . وما كانت ذات مال
وقد سلمتني قلبها ، ليس اعترافاً بالجيل فحسب ،
بل عن حب ساذج بريء ، وتصرفت ستة شهور ،
كان كل يوم فيها أشهى وأجمل من أخيه الفات ،
وإذا اضطررتني الظروف القواهر أن أترك مسقط
رأسي وأبرح إلى رست ليوم واحد ، لم تكن زوجي
في أثناءه تذوق طعم الراحة بل قد تقطع من الطريق
فرسخين ابتغاء استقبالي ، وإذا حدث أن تأخرت
تراها تقضي في انتظار أوبتي ليلة طويلة حشوها
التفكير والسهر ، وإذا أفلحت في حملها على زيارة
سيدتها السابقة - التي لم ينقص حبها لها شيئاً منذ
زواجي بها - فلم يكن ثمة قوة تحملها على البقاء
لديها أكثر من نصف يوم فحسب . بل قد تفسد
على الآخرين صرحهم وبهجتهم بانقباضها لغيبابي .
بل بلغ من رقها معي أنها كانت ترفض الرقص كيلا
تسلم يدها رجلاً غريباً ، وما من شيء كان يسوءها
أكثر من إشادتي بإخلاصها وترديدي لوفائها . على
الجملة كانت زوجي كفتاة غضة الإهاب طاهرة ،
لا تفكر إلا في ، وتعترف لي بأحلامها الخالية من
طيفي كأنها سيئات اكتسبتها

ولست أدري أي شيطان مضى يهمس في أذني:
وما يدريك لعل كل هذا نفاق ... آه يا سيدي !
إن الرجال مولعون بالتنقيب عن العذاب والألم لإبان
أقصى سماتهم

لما يمتلئ في نفسى من نوازع بالظهور على وجهى .
وتجاذبنا الحديث ، وتناولنا المشاء معاً ، ثم ذهبنا
إلى فراشنا بغية النوم . لم يمتض لى جفن تلك الليلة .
ظلت سهران يقظان ، ورحت أترقب الساعات
وأحصى الدقائق . ولما دقت الساعة ربع الساعة
الأول بمد منتصف الليل ، نهضت ودخلت مخدعها .
كان رأسها الصغير الجميل غارقاً فى الوسادة البيضاء
كصورة ملاك نورانى بين السحب الناصعة البيضاء .
يا للطبيعة الكاذبة ! أى شئ يطمئن تحت ستار
تلك الطهارة الجملة ! كان لى عزيم رجل مجنون أصر
على شئ ، ترين على فكرة رهيبة ، كان السم قد نخر
روحي ، عزيمت على قتلها وهى فى نومها !

ولأدع تفاصيل جرمي الشنيع . ماتت دون أن
تبدى أية مقاومة فى هدوء كما يستسلم امرؤ للنوم .
ما كانت تقاومنى أبداً فى شئ ، حتى حين قتلها .
نقطة واحدة من الدم سقطت على ظهر يدي (وأنت
تعرف أين) ، ولم أزلها حتى اليوم التالى ، كانت
قد نجمدت

وواريناها مثواها الأخير دون أن يرتاب أحد
فى الأمر ، وقد كنت أعيش فى عزلة كاملة . ومن
كان فى وسعه أن يكتشف أمرى ؟ لم يكن لها أبوان
ولا ذوو قريبى فيسألونى عن شئ ، وقد نعمدت أن
أبائطاً فى إرسال بطاقات النى حتى يفوت الموعد
الأصدقاء والمعارف .

ولدى عودتى من المقبرة لم أشعر فى ضميرى بأى
وخز ولا تقريع . كنت قاسياً حقاً ولكنها كانت
أهلاً لكل قسوة . وما كنت سامقتها ، بل كنت
سأنساها ، إذ كان نادراً ما أذكرها . لم يحدث أن
ارتكب امرؤ جريمة قتل بمثل هذا الضمير الخالى
من الوخز والتبكيت .

أن يختلس أسرار زوجة ؟ أسرار قد ترجع إلى يوم
أن كانت فتاة صغيرة ؟ وهل يحق لى أن أحاسبها
على تصرفات أنها ولما تكن لى زوجة ؟ أيجب لى
أن أغار من سلوكها فى وقت كنت فيه مجهولاً لديها ؟
من يستطيع أن يأخذ عليها هفوة أو لمحا ؟ من ؟
حقاً لقد أجمرت أن ظننت بها الظنون . . . فعاد
الشیطان إلى سمسى بهمس . ولكن ماذا لو كانت
الرسائل فى عهد لك فيه الحق كله فى الوقوف على كل
تصرفاتها وأفكارها ، فى عهد قد تنافى فيه من
أحلامها ، فى عهد هى فيه ملك لك أنت وحدك .
وحلت الشريط ، لم يرن أحد ، لم يكن هناك حتى
مرآة أرى فيها حمرة الخجل تصبغ وجهى . فتحت
رسالة ثم أخرى ، ثم قرأتها جماء حرفاً حرفاً
أوه ! كانت على ساعة رهيبة

ماذا كان فى تلك الرسائل ؟ أدنا خيانة رأيت
رجلاً يذهب ضحيتها . وكان كاتب الرسائل واحداً
من أصدقائى . . . من أصدقائى الأغرة ، والأسلوب
الذى به كتبت ! أى عاطفة ! أى غرام ! وكم
تحدث عن « كتمان السر » وكانت الرسائل جميعها
فى عهد كنت فيه زوجها ، بل فى أرفع درجات
السعادة الزوجية . من أين لى أن أصف لك شعورى
آنذاك ؟ تصور أنت الأثر الذى يتركه سم زعاف
فناك . قرأت كل الكتب واحداً إثر واحد ثم حزمها
ثانية ولففت الشريط حولها ، ثم وضعتها مكانها
وأغلقت الدرج

كنت أعرف أنها ستعود من لدن السكوت تيس
فى المساء إن لم ترنى ظهراً وقد فعلت . هبطت من
الركبة فى سرعة وهزلت نحوى وأنا أنتظرها على
الدرج ، وقبلتنى فى رقة وفى حنان ، وبدت جد
فرحة سعيدة لعودتها إلى جوارى ثانية ، ولم أسمع

— أجل ... أجل إنها هي ... أنظر ! إنها نفس العقدة التي عقدت . لم تمسحها يد أبداً
لم أجسر أن أرفع عيني في عينيها . خفت أن
تقرأ فيهما أني حللت رباط الحزمة بل وأكثر من هذا
غادرتها توا ... فهرولت إلى مكتبها ثم ابتعدت
بها بعد قليل

وقد اختفت نقطة الدم ، ولم يكن ثمة دليل على
وجود الألم ، ولكن أثر نقطة الدم كان يلسع كالسع
سم زعاف قاتل . وكان هذا الألم يستفحل ويشد
ساعة بعد ساعة . وقد كنت أغفو أحياناً . بيد أن
الألم لم يفارقني لحظة . ولم أبت أحداً شكوتي . وأى
امرى يصدق قصتي ؟ لقد لست بنفسك مقدار
ماعانيت من عذاب ، ورأيت بعينيك كيف استرحت
عقب إجراء كل من العمليتين ، ولكن سرعان
ما كان الألم يعود عقب اندمال الجرح ... والآن
ها هو ذا يفترسني للمرة الثالثة ، ولم يعد بي على
احتماله طاقة ولا قوة ... سأكون ميتاً بعد ساعة
من كتابة هذه السطور . شيء واحد يعزيني ، هو
أنها انتقمت لنفسها هنا في الدنيا . وقد تصفح عني
في السماء . إنى لشاكر لك ما صنعت من أجلى ، عسى
أن يثيبك الله عني خير الجزاء »

بعد ذلك بيضعة أيام كان المرء يرى في الصحف
أن من ... أحد سرة المدينة البرزين قد حطم رأسه
برصاصة . وأشاع البعض أنه انتحر حزناً على زوجه ،
واقترب البعض من الحقيقة بإشاعتهم أنه كان به
داء أعني نطس الأطباء فانتحر تخلصاً منه . أما الذين
يعرفونه فقد قالوا إنه كان مصاباً بنوع من الجنون
monomania وإن جرحه المؤيس لم يكن له وجود
إلا في تخيلته محمد عبد الفتاح محمد

وبلغ الكونتيس النسي ، وقد دبرت كل شيء
تديراً حتى أنها هي أيضاً وصلت متأخرة ، وبدا
عليها الحزن الصادق حين رأتني ، وقد كانت كلماتها
تقطر — لست أدري — رعباً أو إشفاقاً أو حزناً ،
حتى أنني لم أدرك تماماً ماذا كانت تقول في عزائي !
هل كنت مصنياً إليها ؟ وهل كنت في حاجة
إلى عزاء ؟ لم أكن حزينا ولا آسفاً ! وأخيراً ،
أخذتني من ذراعي بجرأة وقالت كأنما صوتها يتساقط
من بين شفتيها : إنها مضطرة أن تفضي إلى بسر ،
ولأنها تعتمد على شرفي كرجل نبيل في كتمان هذا
السر . قالت : إنها أعطت زوجتي حزمة من الرسائل
لتحفظها لديها ، إذ أنها لم تستطع أن تخفيها
في بيتها . وشمرت عدة مرات إبان حديثها بهزة
تسرى في كل كياني ، وسألها وأنا أصطنع البرود
عما تحوى هذه الرسائل ، نجفت للسيدة لهذا السؤال
وقالت غاضبة :

— سيدي ! لقد كانت زوجك أكرم منك .
حينما تعهدت بحفظ رسائلني لم تسألني قط عما تحتوي
بل لقد وعدتني صادقة ألا تلقى عليها نظرة واحدة .
ولم أملئ يقين أنها لم تقرأ منها سطرأ واحداً . كان
لها قلب نبيل ، كانت ولا ريب ستخجل من الحث
بعودها التي قطعت ... فأجبتها :

— حسن جداً . ولكن كيف أعرف هذه
الحزمة ؟

— يضمها شريط أحمر بجانبين فضيين .
— سأذهب أبحث عنها .
ثم أخذت مفاتيح زوجي وأنا أعلم يقيناً أين أجد
الرسائل ، ولكنني اصطنعت العشور عليها بعد جهد
وسألها وأنا أمد بها يدي إليها :
— أهذه هي ؟